المحاضرة الرابعة عشرة

مراجعة وتلخيص لما سبق

تعريف مناهج المحدثين:

«مناهج المحدثين»هي: الطرائق التي أوضحها وسلكها المشتغلون بالحديث روايةً ودرايةً في تعاملهم مع السنة، وعرضهم إياها في مناحيها المختلفة، بعلومها المتعددة، مسندة كانت أو غير مسندة، مستوعبة لجميع أبوابها أو مقتصرة على بعضها .

وبعبارة أخرى: هي الطرق والسبل التي سلكها المحدثون لصيانة السنة والذب عنها، والطرق التي ساروا عليها في رواية الأحاديث، والتعليق عليها، وتصنيفها، وأصولهم في نقد الرواة ومروياتهم، وشروطهم في مصنفاتهم واصطلاحاتهم، ومواردهم فيها ، وكل ما يتعلق بذلك من المسائل، مع تقييم هذه الطرق تقييما موضوعيّا.

فوائد معرفة مناهج المحدثين:

- كما أن معرفة مناهج المحدثين في تدوين الحديث وضبطه يفيدنا كثيرا في تحقيق المخطوطات الحديثية .

- تنمية الفكر العلمي والمنهجي، وصقل مهارة البحث، وإيجاد روح الإبداع والرغبة في التطوير وفق أسس علمية مدروسة ومناهج دقيقة.

خدمة الأمة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم:

وإن الإنسان لتأخذه الدهشة وهو يستعرض تلك العلوم الكثيرة التي اهتم بها العلماء لتخدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من نتاجها تلك المكتبة الحديثية الضخمة التي لا يتسع عمر المرء لقراءتها؛ بَلْهَ استيعابها .

وقد تنوعت عناية السلف - رحمهم الله تعالى - بالسُّنَّة المطهرة، وذلك حسب الإمكانات والوسائل المتاحة في كل عصر، وبذلواغاية الجهد واستخدموا كافة الإمكانات ومختلف الوسائل في العناية بالسُّنَّة علماً وعملاً، حفظاً وكتابة، ودراسة ونشراً بين الأمة .

الأدوار التي مرت بها خدمة السنة:

ونستطيع أن نقسم هذه الأدوار، إلى أربعة أدوار على النحو التالي :

الدور الأول: الحفظ في الصدور، أو مرحلة ما قبل التدوين.

الدور الثانى: تدوين الحديث من غير ترتيب أو مع الترتيب مختلطا بغير الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين والأئمة.

الدور الثالث: إفراد السنة بالتدوين، غير مقرونة بشيء. وتنوعت مناهج المحدثين في هذا الدور في التصنيف، فمنها ما كان على الأبواب، ومنها ما كان على المسانيد.

الدور الرابع: دور التهذيب والتقريب، حيث كانت السنن قد فُرغ من جمعها، وبيان عليلها من صحيحها، فظهرت في هذا الطور. كتب الأطراف، وكتب الزوائد، وكتب الجمع بين أكثر من كتاب، وكتب الشروح للمتون.

بالعرض التاريخي السابق يظهر واضحا ما يلي :

1 - ما كانت عليه مناهج المحدثين في الرواية والنقد والتصنيف من الدقة والعمق، بحيث لم تلحق بها ثقافةٌ من الثقافات في القديم والحديث.

2 - هذه المناهج المتعددة في التأليف – وإن تفاوتت في البسط أو الاختصار، وتباينت في الالتزام بالصحيح المقبول أو رواية الضعيف – إنما كانت تهدف جميعا إلى خدمة السنة المشرفة، وتنبئ عن مدى الحب الذي ملأ قلوب المحدِّثين لها، وتكشف عن مدى الجهد الذي بذلوه في سبيل المحافظة عليها .

3- ثم إنها تكشف بوضوح قدرة المحدثين على التجديد والابتكار، واستثمار معطيات كل عصر وفق منهجية محكمة في التعامل مع السنة، فلم تكن تلك الجهود المضنية جهوداً فوضوية، بلا قواعد تحكمها، أو بلا منهج أصيل يحقق مقاصدها، وإنما كانت حبات متناسقة في العقد اللؤلؤى الذي يزين السنة المطهرة، ولَبِناتٍ متماسكةً في السِّياجً الذي يحميها.

فجزاهم الله عن السنة خير الجزاء.

.. رغم تنوع مناهج المحدثين واختلاف أساليبهم وطرقهم، إلا أنهم ساروا على مبادئ ومناهج لم يحيدوا عنها، وورثوها عمليا لطلابهم ومن أتى بعدهم، فصارت تلك المناهج العامة سمة للمشتغلين بهذا الفن الجليل، يأخذه اللاحق عن السابق، وهذا لم ينف وجود مناهج خاصة لكل إمام منهم، التزم بها وسلكها في مروياته أو مصنفاته.

معنى المناهج العامة والمناهج الخاصة :

يقصد بالمناهج العامة للمحدثين :الأساليب والطرق التي سلكها جميع المحدثين أو اتفقوا عليها في طلب الحديث أو روايته أو كتابته وضبطه أو تحمله وأدائه.

وأما المناهج الخاصة فهي ما سلكه كل مؤلف في مصنف من مصنفاته .

وقد درسنا مناهج أصحاب الكتب الستة .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

تمت بحـــمـــد الله

ونسأل الله لنا ولكم التووفـيـق

لاتنســونا من الدعاء...

عنفوان الحياة